٢ — مطالعاتي حول الحرفاة

حكومة الحـــدائق

للأستاذ صلاح الدين المنجد

ما عليّ وقد تهت بين الجبال في البحث عن المدينة الضائعة ، ملبياً نداء المجهول ، مبتعداً عن ثقل الحضارة ؛ أن أنتقل مع « دوهامل » بين الأزاهير ؛ فأستنشق العطر ، وأرشف الحكمة ، وأنعم بهدوء البال

الحق أن ثقل المدنية يدفع إلى الهرب منها ؛ وهذا ما فعله «دوهامل» حين فر إلى حدائق «فالوندوا» في « إيل دوفرانس» فتمتع بالزهر ، وسكر بالأرج ، وحلم بحكومة الحدائق ... نخط رسومها ، وبين خططها ...[1]

ها هي ذي الطبيعة البكر ، لم تلمسها يد ولم تطأها قدم ، تنمو على غير نسق ، ودون نظام . فإذا امتدت إليها يد الإنسان ورعتها بالتهذيب ، وجملتها بالترتيب ، حَسُنَتْ ونَمَتْ . وها هي ذي الخضارات والنباتات تربو بفن البستاني ، وتزهر بالعناية والحرث والسقيا ، ففنُّه إذن يفيد . إنه حياة ثمرتها الإبداع والجمال ... أفلا نستطيع أن نجني من ذلك عبرة نتبعها في حكومة الناس ... !

هذا ما يبدأ به دوهامل كتابه ... على أنه يصف بستانه الذي حلم بحكومته أنه ليس بالكبير ليقصر الإنسان عن العناية به ، وليس بالصغير ليوجب إهماله ، وليس بالخيالي كبستان الأب موريه ، ولا بالبارع كبستان « بلوميه » الذي ابتدعه هوجو في البؤساء . لا ... ولكنه وسط بين أولئك . ومهما يكن من أمر ، فإن هذا البستان يوجب العناية ويدفع إلى العمل : إنه يتطلب جناناً بارعاً ، وعملاً متواصلاً ، ونظاماً سائداً ؛ وعندئذ يطيب الغرس ، ويتألق الزهر ، ويحلو الثمر ، ويربو القطف

لاجرم أن النظام سر الإبداع وسر الجمال ، وهو الذي يحيي النفوس ويرهف الأذواق ، ويخلق النبلاء . ولا بد لكل مخلوق منه ، حتى النباتات ؛ فينبغي أن تخضع لقانون تتبعه ، وتسلك نهجاً تسير فيه . لكن ما الذي يكون إذا أُهمل البستان ، فنسيه الفكرُ الذي ينظِّمه ، وجَفتْه الأيدي التي تعتني به ... ؟

(١) أنظر كتاب دوماهل المسمى : George Dahamel :Fables de mon jardin

---

بغداد في ذلك العهد ومن أدبائها الممتازين . فلا عجب بعد ذلك ولا غرابة أن رأينا أن عضد الدولة مثلاً كان يكرمه ويفخّمه وينزله منزلة خاصة من بين الأدباء المنطقيين[1]

انتقلت شهرة السجستاني في المنطق من بغداد إلى الأندلس كما انتقلت فلسفة الفارابي والفلسفة الطبيعية أيضاً[2] وكان الذي نقل هذه الشهرة وهذا المنطق محمد بن عبدون الجبلي من أهالي الأندلس ، نقلها إلى الأندلس عام ٣٦٠ الهجرية (٩٧١ م) أي في السنة التي عاد فيها ثانية إلى وطنه الأصلي من العراق[3] ، وللسجستاني كلمات حكمية تدل على أنه لم يكن يقنع بالحواس الخمس ولا بالتجارب وحدها وإنما كان يرى في العقل وحده القول الفصل[4]

(١) ابن القفطي ص ١٨٦ (٢) تاريخ الفلسفة في الاسلام ص٢٣٢
(٣) طبقات الأمم لابن صاعد ص ٨١
(٤) راجع تتمة صوان الحكمة لأبي الحسن علي بن أبي القاسم زيد اليهقي المتوفى سنة (٥٦٥ هـ) ص ٧٤ طبعة لاهور

شأن الفلاسفة العقليين الذين يرون في الحجج العقلية الدليل الأولى Rationalismus أمثال بار منيدس الفيلسوف العقلي الشهير وفلاسفة مدرسة الأليئاتن Aleaten وفلاسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد ، وعلى الأخص أمثال ديكارت وشبينوزا ولايبنتز وولف[1] وأولئك الذين أطلق عليهم الفيلسوف وند Wund اسم المنطقيين المتطرفين Paolanismus وهؤلاء هم عكس الفلاسفة التجريبيين Empirusten الذين يعتقدون بصحة المعرفة إلا إذا جاءت عن طريق التجربة والمشاهدة والحواس أمثال : لوك وفرنسيس بيكن وجون ستيوارت ميل[2] وغيرهم

يراد على

(١) راجع Schmidt. s 535 و

(٢) راجع E. wentscher. das Problem des E. dargestellt meurer. Gegen den. E. 1925 كذلك su. J. St. mill. 1922.

لا شك أن ذلك البستان يميد من الفرح فى أيامه الأُول ؛ فتسكره الحرية ، وينطلق من النظام الذى كان يراه قيوداً فيعيش على هواه : نوم دائم ، واستقرار طويل ، وخمول لازب ؛ وفجاءة تعتلّ النباتات الضعاف لسعة حريتها ، فتعبّ الماء الكثير . . . وتبلى . ثم تغرق الأزاهير الصحاح فى الماء فتندى ، ثم تروى ، ثم يداخل سوقها الوهن ، فتصبح كما أصبحت من قبل أخواتها ؛ وتفسد الثمار التى تركت على أشجارها فلم تقطفها يد الجنّان ، وينثر الهواء البذور فى الأرض فتضيع ، وتستولى الأعشاب الوحشية على الممرات ، وتزاحم النباتات الطائشات الأزاهير الصغار . وعندئذ تسود الفوضى ، ويحكم البستان ثلاثة أصناف من الأعاشيب ، يرجع إليها الأمر ، وتكون الحكم والخصم . ثم يتقاسم البستان ، وتنشأ حولهن أزاهير بورجوازية تكون من الأعوان والأنصار . ثم تغتنم هذه الأزاهير فرصة الفوضى فتنتشر هنا وهناك . فإذا مضى الشتاء وأقبل الربيع ، وجاء فى موكبه النور والجمال . . . لم تجد فى البستان الحياة والرونق ، ولا الجمال وبراعة النسق ، ولا الحرية المهذبة والنظام ... بل تجد الاضطراب والفوضى والظلام ، وترى بضعة أعشاب أنانية ، شرسة ، تحكم بعنف ، ولا تتراجع أمام شيء ، لتشبع نهمها ، وتغذى نفسها بالبطش والشر والانتقام

على أن سلطة رعاع العشب لا تدوم . فهناك ، على حفاف البستان تقوم برابرة الأشجار ... فى الغابة . وفيها تجثم قوة مخيفة لا تعرف ولا توصف . لقد كان فن البستانى يوقفها ، لأن النظام الذى تراه رقّافاً فى جنبات الحديقة كان يخيفها ، وكان يدفعها إلى احترام من يتبعون النظام . أما الآن ... فلا شيء يمنعها عن التقدم

ورويداً رويداً تتقدّم الغابة فتستعبد البستان بقوة لا تغالب ، وجبروت لا يُقهر ؛ فتقضى على الثائرين الصغار ، وتبطش بالفاسدين الكبار ؛ ثم تنمو وتترعرع حتى يأتى يوم يمّحى فيه البستان ويغيب فى ظلال الشجرات العتاق ... ويعود عالمنا كما بدأ مضطرباً مظلماً موحشاً . فالنظام لا جرم سيد الكون ، وإن فن الحكومة — حكومة الحدائق — يدل على أنه لا بد من خضوع الطبيعة لسلطة ما تقودها نحو النظام . لأن الطبيعة هى حياة أصناف وحشية عندها ، وموت أصناف أخر ، واستخدام أصناف ثالثة . أما فنّ الجنان فهو الذى يقاوم قوى الطبيعة الجبارة . فيحمى الأزاهير الجميلة لأنها أرق النباتات ، ويضع كلاً فى موضعه ، ويحدد ذلك الموضع والمكان ؛ ويساعد الضعيفة منها ؛ ويخفف من غلواء ذوات الطيش والإقدام ، ويضع مجموعة من القواعد ملؤها الحكمة والانسجام تكون قابلة للتطبيق والاتباع

ولا بد من وقفة صغيرة . إن السلطة ضرورية، ولكن ينبغى التفريق بينها وبين العنف ، وإلا ما استطاع أحد قيادة الناس ، لأن القوة الوحشية التى تسود بالحديد والجرانيت والرخام لا قيمة لها أمام الحياة ... لأنها ستغلب يوماً . فالبستانى البارع يمارس سلطته باحترام أزاهيره ونباتاته والرفق بها ، ويبدّل قواعده التى تستند إلى القوة بالإقناع ، لأن الإقناع أشد تأثيراً فى النفوس من الحديد . إنه يدفع إلى الهاوية ، وإنه يحيي ويميت . فإذا كان ذلك أصبح البستان رقعة من رقاع الفردوس ، ورفرف حوله العدل والانسجام والسلام

(دمشق) صدوح السيد النجدي

رســـالة إليـــك

استعدى للحصول مجاناً

على حزام جلد بلون شنطة اليد وذلك بحصولك على العدد الذى يصدر من يوم الاثنين ٢ فبراير من مجلة

أنـــا وانت

وبها آخر مبتكرات الأزياء والمودات ، وصلت خصيصاً بالطائرة من هوليوود ، فوصى عليها البائع من الآن

حكم فى القضية ن ٩٢ عسكريه الفيوم سنة ٩٤٢ ضد محمد أبو الفضل خليل من هوارة عدلان بحبسه أسبوعين شغل وبتغريمه ٢٠٠ قرش وغلق المحل لمدة ثمانية أيام لبيعه سكرا بسعر يزيد عن المقرر